باب الثاء المثلثة

الثاغية: النعجة، قالوا ما له ثاغية ولا راغية أي لا نعجة ولا ناقة، أي ما له شيء، ومثله ما له دقيقة ولا جليلة، فالدقيقة الشاة والجليلة الناقة.

الثرملة: بالضم، أنثى الثعالب، وسيأتي إن شاء الله تعالى ما في الثعلب في هذا الباب.

الثعبان: الكبير من الحيات ذكراً كان أو أنثى، والجمع الثعابين، والثعبة ضرب من الوزغ، وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الواو. وقال الجاحظ في كتاب «**الأمصار وتفاضل البلدان**»: والثعابين بمصر وليست هي في بلد غيرها، وإليها حوّل الله عصا موسى ﷺ، قال الله تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: 107]، يعني أنّه حولها ثعباناً عظيماً.

وممّا يتعلّق بخبر الثعبان أنّ عبد الله بن جدعان، كان في ابتداء أمره صعلوكاً ترب اليدين، وكان مع ذلك شريراً فاتكاً لا يزال يجني الجنايات، فيعقل عنه أبوه وقومه حتى أبغضته عشيرته، ونفاه أبوه وحلف لا يؤويه أبداً، فخرج في شعاب مكّة حائراً ثائراً، يتمنّى الموت أن ينزل به، فرأى شقّاً في جبل فظنّ أنّ فيه حية، فتعرّض للشق يريد أن يكون فيه ما يقتله، فيستريح، فلم ير شيئاً، فدخل فيه، فإذا فيه ثعبان عظيم له عينان تقدان كالسراجين، فحمل عليه الثعبان، فأفرج له، فانساب عنه مستديراً بدارة عند بيت، ثم خطا خطوة أخرى، فصفر به الثعبان، فأقبل إليه كالسهم، فأفرج له، فانساب عنه، فوقف ينظر إليه يفكر في أمره، فوقع في نفسه أنّه مصنوع، فأمسكه بيده، فإذا هو مصنوع من ذهب، وعيناه ياقوتتان، فكسره وأخذ عينيه، ودخل البيت، فإذا جثث طوال على سرر لم ير مثلهم طولاً وعظماً، عند رؤوسهم لوح من فضّة فيه تاريخهم، وإذا هم رجال من ملوك جرهم وآخرهم موتاً الحارث بن مضاض صاحب العذبة الطويلة، وإذا عليهم ثياب من وشي لا يمس منها شيء إلا انتثر كالهباء من طول الزمان مكتوب في اللوح عظات قال ابن هشام: كان اللوح من رخام، وكان فيه: أنا نفيلة بن عبد المدان بن خشرم بن عبد ياليل بن جرهم بن قحطان بن نبيّ الله هود عليه السلام، عشت

من العمر خمسمائة عام، وقطعت غور الأرض ظاهرها وباطنها في طلب الثروة والمجد والملك، فلم يكن ذلك ينجيني من الموت. وتحته مكتوب:

قد قطعت البلاد في طلب الثر — وة والمجد قالص الأثواب
وسريت البلاد قفز القفر — بقناة وقوّة واكتساب
فأصاب الردى بنات فؤادي — بسهام من المنايا صياب
فانقضت مدّتي وأقصر جهلي — واستراحت عواذلي من عتابي
ودفعت السفاه بالحلم لما — نزل الشيب في محل الشباب
صاح هل ريت أو سمعت براع — رد في الضرع ما قَرى في الحِلاب

وإذا في وسط البيت كوم عظيم من الياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة والزبرجد، فأخذ منه ما أخذ، ثم علم على الشق بعلامة، وأغلق بابه بالحجارة، وأرسل إلى أبيه بالمال الذي خرج به منه، يسترضيه ويستعطفه، ووصل عشيرته كلّهم فسادهم، وجعل ينفق من ذلك الكنز، ويطعم الناس ويفعل المعروف، وكانت جفنته يأكل منها الراكب على البعير، وسقط فيها صبي فغرق ومات.

وفي «**غريب الحديث**» لابن قتيبة أنّ رسول الله ﷺ قال: «**كنت أستظلّ بظل جفنة عبد الله بن جدعان صكة عمي**»، يعني في الهاجرة وسميت الهاجرة صكة عمي لخبر ذكره أبو حنيفة في «**الأنوار**» وهو أنّ عمياً رجل من عدوان، وقيل من إياد، وكان فقيه العرب في الجاهلية، فقدم في قومه معتمراً أو حاجّاً، فلمّا كان على مرحلتين من مكّة قال لقومه وهم في وسط الظهيرة: «من أتى مكّة غداً في مثل هذا الوقت كان له أجر عمرتين، فصكّوا الإبل صكّة شديدة حتى أتوا مكّة من الغداة، وعمي تصغير أعمى على الترخيم، فسميت الظهيرة صكّة عمي، وعبد الله بن جدعان تيمي، يكنى أبا زهير وهو ابن عم عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ولذلك قالت: يا رسول الله إنّ ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقري الضيف ويفعل المعروف، فهل ينفعه ذلك يوم القيامة، قال ﷺ: «**لا إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين**»، كذا قاله السهيلي في «**الروض الأنف**»، وفي كتاب «**ري العاطش وأنس الواحش**» لأحمد بن عمار أنّ ابن جدعان ممن حرّم الخمر في الجاهلية بعد أن كان بها مغرىً، وذلك أنّه سكر ليلة فصار يمد يديه ويقبض على ضوء القمر ليأخذه، فضحك منه جلساؤه، فأُخبر بذلك حين صحا، فحلف أن لا يشربها أبداً، فلمّا كبر وهرم أراد بنو تميم أن يمنعوه من تبذير ماله، ولاموه في العطاء، فكان يدعو الرجل، فإذا دنا منه لطمه لطمة خفيفة، ثم يقول له: قم فانشد لطمتك واطلب ديتها، فإذا فعل ذلك أعطته بنو تميم من مال ابن جدعان، ولقد أجاد أبو الفتح علي بن محمد البستي صاحب النظم. والنثر في هذه القصيدة وهي قصيدة طويلة طنّانة تشتمل على مواعظ وحكم، فلنأت بها بتمامها وبما ذيل عليها أهل الفضل، ويقال إنّها لأمير المؤمنين الراضي بالله، وهي هذه:

obeikandl.com

زيادة المرء في دنياه نقصان … وربحه غير محض الخير خسران
وكل وجدان حظ لا ثبات له … فإنّ معناه في التحقيق فقدان
يا عامراً لِخراب الدهر مجتهداً … بالله هل لخراب العمر عمران
ويا حريصاً على الأموال يجمعها … أُنسيتَ أنّ سرور المال أحزان
دع الفؤاد عن الدنيا وزخرفها … فصفوها كدر والوصل هجران
وأوع سمعك أمثالاً أفصلها … كما يفصل ياقوت ومرجان
أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم … فطالما استعبد الإنسان إحسان
وكن على الدهر معواناً لذي أمل … يرجو نداك فإنّ الحر معوان
من جاد بالمال مال الناس قاطبة … إليه والمال للإنسان فتان
من كان للخير منّاعاً فليس له … عند الحقيقة إخوان وأخدان
لا تخدشن بمطل وجه عارفة … فالبر يخدشه مطل وليان
يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته … أتطلب الربح مما فيه خسران
أقبل على النفس فاستكمل فضائلها … فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان
من يتقّ الله يحمد في عواقبه … ويكفه شر من عزوا ومن هانوا
حسب الفتى عقله خلاً يعاشره … إذا تحاماه إخوان وخلان
لا تستشر غير ندب حازم فطن … قد استوى منه إسرار وإعلان
فللتدابير فرسان إذا ركضوا … فيها أبروا كما للحرب فرسان
وللأمور مواقيت مقدرة … وكل أمر له حد وميزان
من رافق الرفق في كل الأمور فلم … يندم عليه ولم يذممه إنسان
ولا تكن عجلاً في الأمر تطلبه … فليس يحمد قبل النضج بحران
وذو القناعة راض في معيشته … وصاحب الحرص إن أثرى فغضبان
كفى من العيش ما قد سدّ من رمق … ففيه للحر إنْ حققت غُنْيان
هما رضيعا لبان حكمةٌ وتقىً … وساكنا وطن مال وطغيان
من مد طرفاً بفرط الجهل نحو هوى … أغضى عن الحق يوماً وهو خزيان
من استشار صروف الدهر قام له … على حقيقة طبع الدهر برهان
من عاشر الناس لاقى منهم نصباً … لأنّ طبعهم بغي وعدوان
ومن يفتش على الإخوان مجتهداً … فجل إخوان هذا الدهر خوان
من يزرع الشر يحصد في عواقبه … ندامة ولحصد الزرع إبان
من استنام إلى الأشرار نام وفي … قميصه منهم صل وثعبان
من سالم الناس يسلم من غوائلهم … وعاش وهو قرير العين جذلان

من كان للعقل سلطان عليه غدا ... وما على نفسه للحرص سلطان
وإن أساء مسيء فليكن لك في ... عروض زلته صفح وغفران
إذا نبا بكريم موطن فله ... وراءه في بسيط الأرض أوطان
لا تحسبنّ سروراً دائماً أبداً ... من سرّه زمن ساءته أزمان
يا ظالماً فرحاً بالعز ساعده ... إن كنت في سِنة فالدهر يقظان
يا أيّها العالم المرضي سيرته ... أبشر فأنت بغير الماء ريان
ويا أخا الجهل لو أصبحت في لجج ... فأنت ما بينها لا شك ظمآن
دع التكاسل في الخيرات تطلبها ... فليس يسعد بالخيرات كسلان
صن حر وجهك لا تهتك غلالته ... فكل حر لحر الوجه صوان
لا تحسب الناس طبعاً واحداً فلهم ... غرائز لست تحصيها وألوان
ما كل ماء كصداء لوارده ... نعم ولا كل نبت فهو سعدان
من استعان بغير الله في طلب ... فإن ناصره عجز وخذلان
واشدد يديك بحبل الله معتصماً ... فإنّه الركن إن خانتك أركان
لا ظل للمرء يغني عن تقىً ورضاً ... وإن أظلّته أوراق وأفنان
سحبان من غير مال باقل حصر ... وباقل في ثراء المال سحبان
والناس إخوان من والته دولته ... وهم عليه إذا عادته أعوان
يا رافلاً في الشباب الرحب منتشياً ... من كأسه هل أصاب الرشد نشوان
لا تغترر بشباب ناعم خضل ... فكم تقدّم قبل الشيب شبان
ويا أخا الشيب لو ناصحت نفسك لم ... يكن لمثلك في الإسراف إمعان
هب الشبيبة تبدي عذر صاحبها ... ما بال شيبك يستهويه شيطان
كل الذنوب فإنّ الله يغفرها ... إن شَيَّع المرءَ إخلاص وإيمان
وكل كسر فإنّ الله يجبره ... وما لكسر قناة الدين جبران
أحسن إذا كان إمكان ومقدرة ... فلا يدوم على الإنسان إمكان
فالروض يزدان بالأنوار فاغمه ... والحر بالعدل والإحسان يزدان
خذها سرائر أمثال مهذبة ... فيها لمن يبتغي التبيان تبيان
ما ضر حَسَّانها والطبع صائغها ... إن لم يصغها قريع الشعر حسان

ومن هنا ذيّل من ذيّل عليها فقال:

وكن لسنة خير الخلق متبعاً ... فإنّها لنجاة العبد عنوان
فهو الذي شملت للخلق أنعمه ... وعمهم منه في الدارين إحسان
جبينه قمر قد زانه خفر ... وثغره درر غر ومرجان

obeikandl.com

والبدر يخجل من أنوار طلعته ... والشمس من حسنه الوضاح تزدان
به توسلنا في محو زلتنا ... لربنا إنّه ذو الجود منّان
ومذ أتى أبصرت عمي القلوب به ... سبل الهدى ووعت للحق آذان
يا رب صلّ عليه ما همى مطر ... فأينعت منه أوراق وأغصان
وابعث إليه سلاماً زاكياً عطراً ... والآل والصحب لا تفنيه أزمان

ومن نثره، يعني أبا القاسم البستي: من أصلح فاسده أرغم حاسده؛ ومن أطاع غضبه أضاع أدبه؛ عادات السادات سادات العادات؛ من سعادة جدك وقوفك عند حدك؛ الرشوة رشاء[1] الحاجات؛ أجهل الناس من كان للإخوان مذلاً وعلى السلطان مدلاً؛ الفهم شعاع العقل؛ المنية تضحك من الأمنية؛ حد العفاف الرضا بالكفاف. توفّي البستي رحمه الله سنة أربعمائة.

ثعالة: كنخالة وزبالة وفضالة، ثلاثة أخوة يشبه بعضهم بعضاً، اسم للثعلب، وهو معرفة وأرض مثعلة بالفتح أي كثيرة الثعالب كما قالوا معقرة للأرض الكثيرة العقارب.

الأمثال: قالوا: أروغ من ثعالة، قال الشاعر:

فاحتلت حين صرمتني ... والمرء يعجز لا محاله
والدهر يلعب بالفتى ... والدهر أروغ من ثعاله
والمرء يكسب ماله ... والشيخ يورثه الفساله
والعبد يقرع بالعصا ... والحر تكفيه المقالة

وقالوا: أعطش من ثعالة، واختلفوا في تفسيره، فزعم محمد بن حبيب أنّه الثعلب، وخالفه ابن الأعرابي، فزعم أنّ ثعالة رجل من بني مجاشع، شرب بول رفيق له في مفازة فمات عطشاً.

الثعبة: ضرب من الوزغ، قاله الجوهري.

الثعلب: معروف، والأنثى ثعلبة، والجمع ثعالب، وأثعل. روى ابن قانع في «**معجمه**» عن وابصة بن معبد قال: سمعت النبيّ ﷺ يقول: «**شر السباع هذه الأثعل**»، يعني الثعالب، وكنية الثعلب أبو الحصين، وأبو النجم، وأبو نوفل، وأبو الوثاب، وأبو الحنبص؛ والأنثى أمّ عويل والذكر ثعلبان. وأنشد الكسائي عليه:

(١) الرشاء: الحبل.

أربٌ يبول الثعلبان برأسه لقد ذلّ من بالت عليه الثعالب

هكذا أنشده جماعة وهو وهم، فقد رواه أبو حاتم الرازي الثعلبان بالفتح على أنّه تثنية ثعلب، وذكر أن بني ثعلب كان لهم صنم يعبدونه، فبينما هم ذات يوم إذ أقبل ثعلبان يشتدان، فرفع كل منهما رجله وبال على الصنم، وكان للصنم سادن يقال له غاوي بن ظالم، فقال البيت المتقدّم ثم كسر الصنم، وأتى النبيّ ﷺ فقال له النبيّ ﷺ: «**ما اسمك؟**»، قال: غاوي بن ظالم، قال: «**لا بل أنت راشد بن عبد ربّه**». وفي «**نهاية الغريب**» أنّه كان لرجل صنم، وكان يأتي بالخبز والزبد فيضعه عند رأسه ويقول له اطعم، فجاء ثعلبان فأكل الخبز والزبد ثم عصل على رأس الصنم، أي بال. والثعلبان ذكر الثعالب. وفي كتاب «**الهروي**»: فجاء ثعلبان فأكلا الخبز والزبد، أراد تثنية ثعلب. قال الحافظ بن ناصر: أخطأ الهروي في تفسيره، وصحف في روايته، وإنّما الحديث: فجاء ثعلبان، وهو الذكر من الثعالب اسم له معروف ولا مثنى، فأكل الخبز والزبد، ثم عصل بالعين والصاد على رأس الصنم، فقام الرجل فضرب الصنم فكسره، ثم جاء إلى النبيّ ﷺ، فأخبره بذلك، وقال فيه شعراً وهو:

لقد خاب قوم أمّلوك لشدة أرادوا نزالاً أن تكون تحارب

فلا أنت تغني عن أمور تواترت ولا أنت دفاع إذا حلّ نائب

أرب يبول الثعلبان برأسه لقد ذل من بالت عليه الثعالب

والحديث مذكور في «**معجم البغوي**» وابن شاهين وغيرهما، والرجل المذكور راشد بن عبد ربّه، وحديثه مشروح في كتاب «**دلائل النبوّة**» لأبي نعيم الأصفهاني، وأهل اللغة يستشهدون بهذا البيت في أسماء الحيوان، والفرق في ذلك بين الذكر والأنثى كما قالوا: الأفعوان ذكر الأفاعي، والعقربان ذكر العقارب.

والثعلب سبع جبان، مستضعف ذو مكر وخديعة، لكنّه لفرط الخبث والخديعة يجري مع كبار السباع، ومن حيلته في طلب الرزق أنّه يتماوت وينفخ بطنه ويرفع قوائمه، حتى يظن أنّه مات، فإذا قرب منه حيوان وثب عليه وصاده، وحيلته هذه لا تتم على كلب الصيد؛ قيل للثعلب: ما لك تعدو أكثر من الكلب؟ فقال: لأنّي أعدو لنفسي، والكلب يعدو لغيره. قال الجاحظ: ومن أشد سلاح الثعلب عندهم الروغان والتماوت، وسلاحه سلحه، فإنّ سلاحه أنتن وألزج من سلاح الحبارى. قالت العرب:

أدهى وأنتن من سلاح الثعلب

والجاحظ اسمه عمرو بن بحر الكناني الليثي، وقيل له الجاحظ لأنّ عينيه كانتا جاحظتين، ويقال له الحدقي أيضاً، لذلك أصابه الفالج في آخر عمره، فكان يطلي نصفه بالصندل والكافور لشدّة حرارته، والنصف الآخر لو قرض بالمقاريض لما أحسّ به من خدره، وشدّة برده، وكان يقول: أنا من جانبي الأيمن مفلوج فلو قرض بالمقاريض ما علمت، ومن

جانبي الأيسر منقرس فلو مر به الذباب تألّمت، وقال: اصطلحت على جسدي الأضداد، فإن أكلت بارداً أخذ برجلي، وإن أكلت حارّاً أخذ برأسي، وكان ينشد ويقول:

أترجو أن تكون وأنت شيخ ... كما قد كنت أيام الشباب

لقد كذبتك نفسك ليس ثوب ... دريس[١] كالجديد من الثياب

وله التصانيف في كل فن، وهو من رؤوس المعتزلة، وإليه تنسب الطائفة الجاحظية من المعتزلة. ومن أحسن تصانيفه: «**كتاب الحيوان**». وتوفّي سنة خمس وخمسين ومائتين بالبصرة، قال: ومن العجب في قسمة الأرزاق أنّ الذئب يصيد الثعلب فيأكله، والثعلب يصيد القنفذ فيأكله، والقنفذ يصيد الأفعى فيأكلها، والأفعى تصيد العصفور فتأكله والعصفور يصيد الجراد فيأكله، والجراد يلتمس فراخ الزنابير فيأكلها، والزنبور يصيد النحلة فيأكلها، والنحلة تصيد الذبابة فتأكلها، والذبابة تصيد البعوضة فتأكلها.

روى صاحب «**الغيلانيات**» في الجزء الأوّل عن الشعبي عن جابر بن عبد الله قال: جاء رجل إلى أبي بكر الصدّيق ﵁ فقال: رأيت كأنّي أجري مع الثعلب أحسن جري، فقال: أجريت ما لا يجري، أنت رجل في لسانك كذب، فاتق الله عزّ وجل، ومن شأن الثعلب إذا دخل برج حمام وكان شبعان قتلها ورمى بها لعلمه أنّه إذا جاع عاد إليها وأكلها، وهو من الحيوان الذي سِلاحه سُلاحه[2]، وهو أنتن من سلاح الحبارى، كما تقدّم، فإذا تعرّض للقنفذ ولقيه كالكرة، وتحصّن بشوكه سلح عليه، فينبسط فعندها يقبض على مراق بطنه، ومن ظريف ما يحكى عنه أنّ البراغيث إذا كثرت في صوفه تناول صوفة منه بفيه، ثم يدخل النهر قليلاً قليلاً والبراغيث تصعد فراراً من الماء، حتى تجتمع في الصوفة التي في فيه، فيلقيها في الماء، ثم يهرب. والذئب يطلب أولاد الثعلب، فإذا ولد له ولد وضع أوراق العنصل على باب وجاره ليهرب الذئب منها. وفروه أفضل الفراء، ومنه: الأبيض والأسود، والخلنجي.

وقال القزويني في «**عجائب المخلوقات**» إنّه أُهدي إلى نوح بن منصور الساماني ثعلب له جناحان من ريش، إذا قرب الإنسان منه نشرهما، وإذا بعد عنه ألصقهما بجانبيه، ثم قال: وكانت الثعالب تطير في الزمن الأوّل. وفي آخر كتاب «**الأذكياء**» لأبي الفرج بن الجوزي عن المعافى بن زكريا قال: زعموا أنّ أسداً وثعلباً وذئباً اصطحبوا فخرجوا يتصيّدون، فصادوا حماراً وظبياً وأرنباً، فقال الأسد للذئب: اقسم بيننا صيدنا، فقال: الأمر أبين من ذلك، الحمار لك، والأرنب لأبي معاوية، يعني الثعلب، والظبي لي، فخبطه الأسد، فأطاح رأسه، ثم أقبل على الثعلب وقال: قاتله الله ما أجهله بالقسمة، هات أنت يا أبا معاوية، فقال الثعلب: يا أبا

(١) الدريس: البالي.
(٢) السُّلاح: فضلات البطن.

الحارث الأمر أوضح من ذلك، الحمار لغدائك، والظبي لعشائك، والأرنب فيما بين ذلك، فقال له الأسد: قاتلك الله ما أقضاك من علّمك هذه الأقضية؟ قال: رأس الذئب الطائح عن جثّته. وفي رواية عن الشعبي: فقال له الأسد: قاتلك الله ما أبصرك بالقضاء والقسمة، من أين تعلّمت هذا؟ قال: مما رأيت من أمر الذئب.

وممّا يروى من حيل الثعلب ما ذكره الشافعي، قال: كنّا في سفر في أرض اليمن، فوضعنا سفرتنا لنتعشّى، وحضرت صلاة المغرب، فقمنا نصلّي ثم نتعشّى، فتركنا السفرة كما هي وقمنا إلى الصلاة، وكان فيها دجاجتان، فجاء الثعلب، فأخذ إحدى الدجاجتين، فلمّا قضينا الصلاة أسفنا عليها، وقلنا: حرمنا طعامنا، فبينما نحن كذلك إذ جاء الثعلب وفي فمه شيء كأنّه الدجاجة، فوضعه، فبادرنا إليه لنأخذه ونحن نحسبه الدجاجة قد ردّها، فلمّا قمنا جاء إلى الأخرى وأخذها من السفرة وأصبنا الذي قمنا إليه لنأخذه فإذا هو ليف قد هيّأه مثل الدجاجة.

وممّا وقع من فطنة البهائم ممّا يقارب هذا ما يحكى عن القاسم بن أبي التنّوخي الأنباري قال: كنت ماضياً إلى الأنبار في رفقة فيها بازدارية السلطان قد خرجوا يروضونها فأطلقوا بازياً على دراج فطار الدراج إلى غيضة، فدخل فيها وألقى نفسه بين شوك كان فيها، فأخذ من ذلك الشوك أصلين كبيرين في رجليه، ونام على قفاه ورفع رجليه فاستتر بذلك من الباز، فلمّا قرب منه البازداري طار فصاده البازي، فقالوا: ما رأينا قط دراجاً أحذق من هذا، وقد أورد هذه الحكاية القاضي أبو علي الحسن بن علي التنّوخي أيضاً في كتاب «**أخبار المذاكرة ونشوان المحاضرة**» بألفاظ مخالفة لما سيق هنا، فقال: وحدّثني أبو القاسم بن أبي طالب التنّوخي الأنباري، قال: كنت ماضياً إلى الأنبار مع رفقة بازدارية للسلطان، فأطلقوا بازياً على دراج لاح لهم، فطار الدراج ولحقه الباز، فأخذوا يهلّلون ويكبّرون ويعجبون فلحقتهم وسألتهم، فإذا بالدراج قد دخل غيضة، فألقى نفسه بين شوك كان فيها وأخذ من ذلك الشوك أصلين كبيرين بين رجليه، ونام على قفاه وشال رجليه وفيهما الشوك، ليتخفّى به عن الباز، والباز قد طلبه طويلاً فلم يره، وقد خفي عليه أمره بذلك الشوك الذي شاله في رجلين حتى ستر به نفسه، إلى أن جاء البازدارية فرأوا الدراج، فقصدوه وقربوا منه فطار وأحس به الباز فاصطاده، فسمعتهم يقولون: ما رأينا قط دراجاً أمكر من هذا ولا أحذق منه بالتوقّي، ولا سمعنا بمثل هذا، وأسرفوا في التعجب منه، وهذه أخبار تقارب ما تقدّم في فطنة الطير وذكائه.

وقال القاضي أبو علي التنّوخي: حدّثني أبو الفتح البصروي قال: حدّثني بعض أهل الموصل ممّن كان مغرى بالصيد وطلب الجوارح أنّ صيّاداً من أهل أرمينية وتلك النواحي حدّثه قال: خرجت إلى الصحراء يوماً، فنصبت شبكتي وجعلت فيها طائراً مستأنساً، ودخلت في كوخ تحت الأرض يسترني، وجعلت أنظر إلى الشبكة حتى إذا وقع فيها شيء من البزاة

أو الصقور أو الشواهين أو غير ذلك من الجوارح أخذته، فلمّا كان قريباً من الظهر وإذا بزمجة لطيفة قد طارت على الشبكة فلما رأتها نفرت وترجّلت قريباً منها، فجلست على الأرض ساعة، فإذا بعقاب جائز، فلمّا رآها ترجّل معها وجلسا جميعاً وإذا بطائر يطير في الجو فنهضت الزمجة قبل العقاب، وطارت خلف الطائر، فلم تزايله إلى أن صادته، وجاءت به فنسرته وصار لحماً، وأقبلت تأكل، فجاء العقاب وأكل معها، فلمّا فني اللحم زاف العقاب عليها فضربت وجهه بجناحها فزاف ثانية، فضربته أشدّ من الأولى فزاف الثالثة، فضربته أشدّ من ذلك، ولم تزل تضربه بمنسرها إلى أن قتلته، وطارت فتعجّبت من نفورها من الشبكة، وقلت: هي كرزة ويجوز أن تعرف الشبكة بالعادة، وممّا سوى ذلك من مناهضتها للطائر قبل العقاب حتى صادته، ثم إنّها منعت العقاب من سفادها وأنّها أطعمته من صيدها ثم لم ترض بذلك حتى قتلته لمّا ألحّ عليها، وطمعت في أن أصيدها لأصيد بها ما لا قيمة له فبت ليلتي في ذلك الكوخ، فلمّا كان من الغد فإذا هي قد ترجّلت قريباً من الشبكة في مثل ذلك الوقت، فنزل إليها عقاب فجلس معها، وعنّ لهما صيد فجرت صورتها مع العقاب الثاني كما جرت مع العقاب الأوّل سواء بلا اختلاف البتة وطارت، فزاد تعجّبي وحرصي عليها، وبتّ ليلتي الثانية في الكوخ، فلمّا كان في اليوم الثالث فإذا بها قد ترجّلت على الصورة والرسم، وإذا بعد ساعة بعقاب لطيف الجثة، وحشي الرّيش قد ترجّل فما مضت ساعة حتى عنّ لهما صيد فهمت الزمجة بالنهوض، فضربها العقاب بجناحيه ضربة كاد يقتلها، ونهض مسرعاً إلى الطيران حتى اصطاد الطائر وجاء به فنسره وطرحه بين يديها ولم يذق منه شيئاً حتى أكلت الزمجة واستوفت ثم أكل هو بعدها لحم الطائر الباقي وفني فزاف عليها فزافت له، ولم تمنعه فزاف الثانية فركبها، فمكنته حتى سفدها ثم طارا معاً.

وحكى القاضي أبو علي التنوخي أيضاً قال: حدّثني فارس بن مشغف أحد الجند القدماء المولدين، وقد صار بوّاباً لأبي محمد يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد قال: كنت أصحب قائداً من قوّاد السلطان يعرف بأبي إسحاق بن أبي مسعود الأزدي، وكانت إليه إمارة المدائن إسبانين والمدينة العتيقة، وكانت إذ ذاك عامرة آهلة، والسلاطين ينزلون بها، وكنت مقيماً فيها معه، وكان لهجاً بالصيد، فخرج ذات يوم وأنا معه إلى المدينة المعروفة بالرومية المقابلة للمدينة العتيقة، وهي إذ ذاك خراب، ومعه آلة صيده وجنده حتى ملّ وسلك الطريق راجعاً، وكان معه صقر له فاره قد شبع ممّا أطعمه من صيده، فمسح الصقار صدره وحمله على يده، وهو يسير إذ اضطرب الصقر اضطراباً شديداً، فقال له ابن أبي مسعود: قد شاهد الصقر طريدة، وهذا الاضطراب لأجلها، فأرسله، فقال: يا سيّدي هو صقر شره، واضطرابه ليس لهذا وقد شبع ولا آمن أن أرسله على طريدة وهو شبعان، فيتيه، فزاد اضطراب الصقر، فقال: أرسله وليس عليك منه شيء، فأرسله فطار وتراكضنا خلفه حتى جاء إلى أجمة صغيرة تستره،

ونحن نراه فرفرف عليها وإذا بشيء قد صعد منها مثل النشاب في مقدار زج النشابة فقط، فحاص عنه الصقر ثم انحط في الأجمة، فدخلنا خلفه، فإذا هو قد ترجّل على حبارى، واصطادها وإذا هو طلع على يد الصقار.

ومن عادة الحبارى أن تذرق على الجارح الذي يصيدها لتجرح جناحه وتعقره بذرقها لحماه وحدته، وينسلخ جلده والصقر عارف بذلك، فاحتال عليها الصقر فرفرف عليها كأنّه يريد صيدها، فذرقت الحبارى إلى فوق حتى صعدت ذرقتها، فلمّا أخطأت الصقر انحطّ عليها في الحال، فاصطادها، وكان الصقارون ومن حضر من الجند والمتصيدين المدنيين يعجبون من ذلك، ويعدّونه من غرائب ما شاهدوه من أفعال الجوارح. وذكر القاضي التنّوخي عن فارس هذا قال: كنت مع هارون بن غريب الحبال من جملة عسكره ورجاله ونحن قيام بين يدي حلوان والجند سائرون وهو يتصيّد في طريقه إذ عنّ له غزال، فأرسل عليه صقراً كان بحضرته، ولم يكن الكلابون بالقرب منه، فيرسلون معه كلباً لأنّ العادة أنّ الصقر لا يصيد غزالاً إلاّ إذا كان معه كلب، وذلك أنّ الصقر يطير فيقع على رأسه فيعقره ويضرب بجناحيه بين عينيه فيمنعه من شدّة العدو، فيلحقه الكلب فيصيده، هكذا جرت العادة في صيد الغزلان بالصقور إلاّ أنّ ابن الحبّال لمّا لاح له الغزال أطلق الصقر لئلا يفوته الغزال، وغرر به لحوق الكلاب في الحال، وقد رأى أن يشغله الصقر عن العدو فتلحقه خيلنا ورماحنا، فطار الصقر وتراكضنا خلفه وأنا ممّن ركض، وجرى الغزال فوافى إلى منحدر في الصحراء فانحدر فيه، فلمّا حصل منحدراً سقط الصقر على خدّه وعنقه، فأنشب مخلبيه فيهما وحمله الغزال، فرأينا الصقر قد سدل أحد مخلبيه حتى إنّه يخط في الأرض حتى إذا وصل إلى موضع من الصحراء فيه شوك، فعلق بأصل شوك عظيم، ثم جذب عنق الغزال بالمخلب الآخر الذي كان أمسكه به في خدّه وأصل عنقه، وإذا به قد دق عنقه وصرعه فلحقناه وذكيناه، ووقعت البشارة، فقال ابن الحبال ومن معه: ما رأينا قط صقراً أفره من هذا، وخلع على الصقار خلعة حسنة.

وحكى القاضي أبو علي التنّوخي قال: أخبرني أبو القاسم البصري قال: أخبرني بعض الجمدارية من الجند أنّه كان مع قائد من قوادهم في الصيد، ومعه عقاب يتصيّد به، وقد اصطاد واستكفى إذ اضطرب العقاب على يد العقّاب اضطراباً شديداً، فخاف على نفسه لأنّ العقاب ربّما أتلف عقابه إذا منعه من إرادته، وليس يجري مجرى غيره من الجوارح، فأرسله العقّاب فطار وطرد وراءه، فإذا به قد سقط على شيخ ضعيف كان يجر شوكاً وهو يمشي على أربع، فنسره ودق عنقه وأتلفه وولغ في دمه وأكل من لحمه، وإذا بالعقّاب قد جاء إلى القائد، فقال له: ما الخبر؟ فقال له يا سيدي اصطاد العقاب شيخاً وحشياً برياً، وكان يسمعنا نقول: اصطد لنا غزالاً وحشياً وسنوراً بريّاً، فقدر أنّ شيخاً بريّاً ووحشياً مثله، ولم يفكّر أنّ العقاب أتلف رجلاً مسلماً، فقال القائد: ويحك، ما تقول؟ وحرك، فحركنا وراءه، فوجدنا الشيخ، فاغتمّ لذلك غمّاً شديداً وعجبنا من أمر العقاب.

وحكى القاضي التنّوخي في كتابه أيضاً قال: حدّثني أبو محمد يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد قال: حدّثني بعض المتصيّدين، وقد تجارينا عجائب ما يجري فيه، فقال: من أحسن وأظرف ما رأينا منه أنّ بازياً كان لفلان ـ وسمّاه ـ أرسله فاصطاد دراجاً وقبض عليه بإحدى يديه، وترجل كما جرت به العادة وأمسكه ينتظر البازداري، فيذبحه ويطعمه منه كما جرت العادة في مثل ذلك، وهو على جانبه إذ أبصر دراجاً آخر يطير فطار، والدراج الأوّل في إحدى يديه حتى قبض على الدراج الآخر، فاصطاده وترجّل، وقد أمسكها بيديه جميعاً، فاجتمعنا وشاهدناه على هذه الحالة فاستظرفناه، ثم أخذناهما من يديه. وذكر ابن الجوزي في آخر كتاب «**الأذكياء**» والحافظ وأبو نعيم في «**حلية الأولياء**» عن الشعبي أنّه قال: مرض الأسد فعاده جميع السباع ما خلا الثعلب فنم عليه الذئب، فقال الأسد: إذا حضر فأعلمني، فلمّا حضر أعلمه، فعاتبه في ذلك، فقال: كنت في طلب الدواء لك قال فأي شيء أصبت؟ قال: خرزة في ساق الذئب ينبغي أن تخرج، فضرب الأسد بمخالبه في ساق الذئب، وانسل الثعلب، فمر به الذئب بعد ذلك ودمه يسيل، فقال له الثعلب: يا صاحب الخف الأحمر، إذا قعدت عند الملوك فانظر ماذا يخرج من رأسك، قال الحافظ أبو نعيم: لم يقصد الشعبي من هذا سوى ضرب المثل وتعليم العقلاء وتنبيه الناس وتأكيد الوصية في حفظ اللسان وتهذيب الأخلاق والتأدب بكل طريق، وفي مثل ذلك قيل:

احفظ لسانك لا تقول فتبتلى ... إنّ البلاء موكل بالمنطق

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ أنّه قال: نهانا رسول الله ﷺ في الصلاة عن ثلاثة: نقرة كنقرة الديك، وإقعاء كإقعاء الكلب، والتفات كالتفات الثعلب؛ وقيل للشعبي: يقال في المثل إنّ شريحاً أدهى من الثعلب، وأحيل فما هذا؟ فقال: خرج شريح أيام الطاعون إلى النجف، فكان إذا قام يصلّي يجيء ثعلب، فيقف تجاهه ويحاكيه ويخيل بين يديه ويشغله عن صلاته، فلمّا طال ذلك عليه نزع قميصه، فجعله على قصبة وأخرج كمّيه وجعل قلنسونه عليها، فأقبل الثعلب فوقف بين يديه على عادته، فأتاه شريح من خلفه، وأخذه بغتة، فلذلك يقال شريح أدهى من الثعلب وأحيَل، ويقال: ضغا الثعلب والسنور يضغو ضغواً وضغاءً أي صاح، وكذلك صوت كل ذليل مقهور. ويقال للإمام العلاّمة أبي منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري رأس المؤلفين وإمام المصنفين صاحب التصانيف الفائقة والآداب الرائقة كـ «**ثمار القلوب، وفقه اللغة، ويتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**» وغير ذلك من التصانيف، الثعالبي منسوب إلى خياطة جلود الثعالب لأنّه كان فراء، ويتيمة الدهر أكبر كتبه وأحسنها، وفيها يقول أبو الفتح نصر الله بن قلاقس الإسكندراني:

أبيات أشعار اليتيمة ... أبكار أفكار قديمة

ماتوا وعاشت بعدهم ... فلذاك سميت اليتيمة

ومن شعر أبي منصور الثعالبي:

يا سيّداً بالمكرمات ارتدى ... وانتعل العيوق والفرقدا
مالك لا تجري على مقتضى ... مودة طال عليها المدى
إن غبت لم أطلب وهذا سليـ ... ـمان بن داود نجي الهدى
تفقد الطير على شغله ... فقال ما لي لا أرى الهدهدا

وله في غلام مسافر:

فديت مسافراً ركب الفيافي ... فأثر في محاسنه السفار
فمسك ورد خديه الموافي ... وغبر مسك صدغيه الغبار

توفّي سنة تسع وعشرين؛ وقيل سنة ثلاثين وأربعمائة.

الحكم: نص إمامنا الشافعي رحمه الله على حل أكله، وقال ابن الصلاح: ليس في حله حديث عن رسول الله ﷺ، وفي تحريمه حديثان في إسنادهما ضعف، واعتمد الشافعي في ذلك على عادة العرب في أكله، فيندرج في عموم قوله تعالى: ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [المائدة: 4]، وبحله قال طاوس وعطاء وقتادة وغيرهم، ونقل في فوائد رحلته عن أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي الإمام في الحديث والفقه تلميذ البويطي رحمه الله أنّ الثعلب حرام، وكره أبو حنيفة ومالك أكله، وأكثر الروايات عن أحمد تحريمه لأنّه سبع.

الأمثال: قالوا: أروغ من ثعلب، قال الشاعر:

كل خليل كنت خاللته ... لا ترك الله له واضحة
كلهم أروغ من ثعلب ... ما أشبه الليلة بالبارحة

وفي «**المجالسة**» للدينوري أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال وهو على المنبر: إن الذين قالوا ربّنا الله، ثم استقاموا ولم يروغوا روغان الثعالب. وفي رواية: الثعلب، وفي «**شعب البيهقي وأمثال العسكري**» عن الحسن بن سمرة رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ قال: «**مثل الذي يفر من الموت كالثعلب تطلبه الأرض بدين فجعل يسعى حتى إذا أعيا وانبهر دخل جحره، فقالت له الأرض: يا ثعلب ديني ديني، فخرج فلم يزل كذلك حتى انقطعت عنقه، فمات**»، وقالوا: أذل ممن بالت عليه الثعالب يضرب لمن يستذل كما تقدم، وأدهى من ثعلب وأعطش من ثعالة، قال حميد بن ثور:

ألم تر بيني وبين ابن عامر ... من الود قد بالت عليه الثعالب
وأصبح صافي الود بيني وبينه ... كأن لم يكن والدهر فيه عجائب

الخواص: رأسه إذا ترك في برج حمام هربت كلّها، ونابه يشدّ على الصبي الذي به ريح الصبيان يذهب عنه ولا يفزع في نومه، وتحسن أخلاقه، ومرارته إذا نفخت في أنف المصروع

لا يصرع أبداً، ولحمه ينفع من اللقوة والجذام، وشحمه يذاب ويطلى به من النقرس يزول وجعه في الحال، وخصيته تشد على الصبي فتنبت أسنانه بغير ألم، وفروه أنفع شيء للمرطوبين بخوراً ولبساً، ودمه إذا طلي به رأس صبي نبت شعره وإن كان أقرع، وإذا استصحب دمه إنسان لا تؤثر فيه حيلة محتال، ورئته إذا سحقت وشربت نفعت من الريح، وأنيابه إذا علّقت على المصروع برىء، وطحاله إذا شُد على ذي الطحال الوجع أبرأه، وقال هرمس: من أمسك كليتي الثعلب بيده لم يخف الكلاب، ولم تنبح عليه، وأذنه إذا علقت على الخنازير التي في العنق أبرأتها، وشحمه إذا أُذيب وقطر في الأذن الوجعة سكن وجعها، وذكره ينفع من الصداع إذا علّق على الرأس، ومرارته إذا طلي بها الذهب يصير لونه لون النحاس، وخصيته تنفع من الورم الكائن عند الأذنين إذا دلّك بها، وكبده إذا سقي منه وزن مثقال بشراب من به وجع الطحال أبرأه من ساعته، وشحمه إذا طلي به أطراف اليدين والرجلين أمنت مضرة البرد، ودماغه إذا خلط بورس وطلي به الرأس أذهب القرع والحزاز والبثور وسقوط الشعر، وقضيبه إذا علّق على الصبي الذي يبكي بالليل ويفزع يذهب ذلك عنه، وكذلك يفعل الناب وشحمه تجتمع عليه البراغيث حيث كان، وخصيته إذا جففت وسقي منها رجل وزن درهم زاد في الجماع والإنعاظ، وزبله يسحق بدهن ورد ويطلى به الإحليل وقت الجماع يزيد فيه ما شاء. وفي «**كتاب الأبدال**»: إن طلبت شحم الثعلب فلم تجده فبدله شحم الذئب.

التعبير: الثعلب في المنام امرأة، فمن رأى أنّه يلاعب ثعلباً، فإن له امرأة يحبها وتحبه، وقيل الثعلب رجل ذو مكر وخديعة، فمن نازعه فإنّه ينازع غريماً، كذلك وأكل لحمه، ويدل على وجع يصيب الآكل من الرياح ويبرأ، وقيل إنّه عدو من قبل سلطان؛ وقالت اليهود إنّه يدل على الطبيب أو المنجم؛ وقالت النصارى من قبّل ثعلباً فإنّه يصيب امرأة عزيزة؛ وقيل من قتل ثعلباً قتل ولد رجل شريف، ومن شرب لبن ثعلب شفي من مرض، وقيل من نازع ثعلباً في نومه خاصم بعض أهله وأصدقائه، والله تعالى أعلم.

الثفا: بالثاء المثلثة وبالفاء والألف في آخره، السنور البري، وهو قريب من الثعلب على شكل السنور الأهلي وسيأتي في بابه إن شاء الله تعالى.

الثقلان: الإنس والجن. سمّيا بذلك لأنّهما ثقلا الأرض، وقيل لشرفهما، وكل شريف يقال له ثقيل؛ وقيل لأنّهما مثقلان بالذنوب.

الثلج: فرخ العقاب، قاله ابن سيّده.

الثني: الذي يلقى ثنيته ويكون ذلك في ذوات الظلف والحافر في السنة الثالثة، وفي ذي الخف في السنة السادسة، والجمع ثنيان وثنايا، والأنثى ثنية، والجمع ثنيات.

الثور: الذكر من البقر، وكنيته أبو عجل، والأنثى ثورة، والجمع ثورة وثيران وثيرة، قال سيبويه: قلبوا الواو ياء حيث كانت بعد كسرة، قال: وليس هذا بمطرد، وقال المبرد: إنّما قلبوا ثيرة ليفرقوا بينه وبين ثورة الأقط، وبنوه على فعلة، ثم حرّكوه وسمّي الثور ثوراً لأنّه يثير الأرض، كما سمّيت البقرة بقرة لأنّها تبقرها. قال في «**الإحياء**»: نظر أبو الدرداء إلى ثورين يحرثان في قرن، فوقف أحدهما يحك جسمه، فوقف له الآخر، فبكى أبو الدرداء ﵁ وقال: هكذا الأخوان في الله عزّ وجل يعملان لله تعالى، فإذا وقف أحدهما وافقه الآخر، وبالموافقة يتم الإخلاص، ومن لم يكن مخلصاً في إخائه فهو منافق، والإخلاص استواء الغيب والشهادة والقلب واللسان.

فائدة: قال وهب بن منبه: كانت الأرض كالسفينة تذهب وتجيء، فخلق الله تعالى ملكاً في غاية العظم والقوّة وأمره أن يدخل تحتها ويجعلها على منكبيه، ففعل وأخرج يداً من المشرق ويداً من المغرب، وقبض على أطراف الأرض، فأمسكها، ثم لم يكن لقدميه قرار، فخلق الله تعالى صخرة من ياقوتة حمراء، في وسطها سبعة آلاف ثقبة يخرج من كل ثقبة بحر لا يعلم عظمه إلاّ الله عزّ وجل، ثم أمر الصخرة فدخلت تحت قدمي الملك، ثم لم يكن للصخرة قرار، فخلق الله عزّ وجل ثوراً عظيماً له أربعة آلاف عين، ومثلها آذان، ومثلها أنوف وأفواه وألسنة وقوائم، ما بين كل اثنتين منها مسيرة خمسمائة عام. وأمر الله تعالى هذا الثور، فدخل تحت الصخرة فحملها على ظهره وقرنه، واسم هذا الثور كيوثا، ثم لم يكن للثور قرار، فخلق الله تعالى حوتاً عظيماً لا يقدر أحد أن ينظر إليه لعظمه وبريق عينيه وكبرهما حتى إنّه لو وضعت البحار كلّها في إحدى مناخره لكانت كخردلة في فلاة، فأمر الله تعالى ذلك الحوت أن يكون قراراً لقوائم هذا الثور، واسم هذا الحوت يهموت، ثم جعل قراره الماء، وتحت الماء هواء، وتحت الهواء ماء، وتحت الماء ظلمات، ثم انقطع علم الخلائق عمّا تحت الظلمات، هكذا نقله القاضي شهاب الدين بن فضل في كتاب «**مسالك الإبصار في ممالك الأبصار**» في الجزء الثالث والعشرين منه.

فائدة أخرى: روى مسلم في كتاب «**الظهار**» والنسائي في عشرة النساء عن ثوبان أنّ أهل الجنّة حين يدخلونها ينحر لهم ثور الجنّة الذي كان يأكل من أطرافها، ويأكلون من زيادة كبد الحوت. وروى هنّاد بن السري وابن إسحاق بإسناد حسن أنّ الشهداء حين يدخلون الجنّة يخرج عليهم حوت وثور من الجنّة لغدائهم، فيلعبان حتى إذا كثر عجبهم منهما طعن الثور الحوت بقرنه فبقره لهم، كما يذبحون ثم يروحان عليهم أيضاً لعشائهم فيلعبان فيضرب الحوت الثور بذنبه فيبقره كما يذبحون، قال السهيلي: وفي هذا الحديث من باب التفكر والاعتبار أنّ

الحوت لما كان عليه قرار هذه الأرض وهو حيوان سابح استشعر أهل هذه الدار أنّهم في منزل قلعة وبوار، وليست بدار قرار، فإذا نحر لهم قبل أن يدخلوا الجنّة فأكلوا من كبده كان ذلك إشعار لهم بالراحة من دار الزوال، وأنّهم قد صاروا إلى دار القرار، كما يذبح لهم الكبش الأملح على الصراط ليعلموا أنّه لا موت ولا فناء، وأمّا الثور فهو آلة الحرث، وأهل الدنيا لا يخلون من أحد هذين الحرثين حرث لدنياهم وحرث لأخراهم، ففي نحر الثور هنالك إشعار براحتهم من الكدين وترفيهم من نصب الحرثين.

فائدة أخرى: روى البخاري في بدء الخلق عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ قال: «**الشمس والقمر يكوران يوم القيامة**»، انفرد به البخاري، وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار بأبسط من هذا السياق، فقال: حدّثنا إبراهيم بن زياد البغدادي، حدّثنا يونس بن محمد، حدّثنا عبد العزيز بن المختار عن عبد الله الداناج قال: سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمٰن زمن خالد بن عبد الله القسري في هذا المسجد مسجدة الكوفة، وجاء الحسن، فجلس إليه، فحدّث عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ قال: «**إنّ الشمس والقمر ثوران في النّار يوم القيامة**»، فقال الحسن: وما ذنبهما؟ فقال: أحدّثك عن رسول الله ﷺ وتقول: ما ذنبهما؟ ثم قال البزار: ولا يروى عن أبي هريرة إلاّ من هذا الوجه، ولم يرو عبد الله الداناج عن أبي سلمة سوى هذا الحديث، وروى الحافظ أبو يعلى الموصلي من طريق درست بن زياد عن يزيد الرقاشي وهما ضعيفان عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ قال: «**الشمس والقمر ثوران عقيران في النار**»، وقال كعب الأحبار: يجاء بالشمس والقمر يوم القيامة كأنّهما ثوران عقيران فيقذفان في جهنّم ليراهما من عبدهما، كما قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: 98]، الآية، وخرج أبو داود والطيالسي عن أنس أنّ النبيّ ﷺ قال: «**إنّ الشمس والقمر ثوران عقيران في النار**»، وفي «**نهاية الغريب**» قيل لما وصفهما الله تعالى بالسباحة في قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: 40]، ثم أخبر سبحانه وتعالى بجعلهما في النّار يعذب بهما أهلها بحيث لا يبرحان بها صار كأنّهما ثوران عقيران لا يبرحان؛ كذلك ذكر ذلك أبو موسى وهو كما تراه؛ وقيل: إنّما يُجمعان في جهنّم لأنهما عُبِدا من دون الله عزّ وجل، ولا يكون لهما عذاب لأنّهما جماد، وإنّما يُفعل ذلك بهما زيادة على تبكيت الكافرين وخزيهم. وردّ ابن عباس قول كعب الأحبار، وقال: الله أجلّ وأكرم من أن يعذب الشمس والقمر وإنّما يخلقهما يوم القيامة أسودين مكوّرين، فإذا كانا حيال العرش خرّا ساجديْن لله تعالى، ويقولان: إلٰهنا قد علمت طاعتنا لك وسرعتنا في المضي في أمرك أيام الدنيا، فلا تعذّبنا بعبادة الكافرين إيّانا، فيقول الربّ تعالى: صدقتما إنّي قضيت على نفسي أن أبدىء وأعيد وإنّي أعيدكما إلى ما بدأتكما منه، وإنّي خلقتكما من نور عرشي، فارجعا إليه، فيختلطان بنور العرش، فذلك معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ [البروج: 13].

وروى أبو نعيم في ترجمة سعيد بن جبير أنّه قال: أهبط الله تعالى إلى آدم ثوراً أحمر، فكان يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه، وهو الذي قال الله تعالى فيه: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: 117]، فكان ذلك شقاءه، وكان عليه السلام يقول لحوّاء: أنت عملت بي هذا، فليس أحد من ولد آدم يعمل على ثور إلاّ قال: (حو) دخلت عليه من قبل آدم، وكانت العرب إذا أوردوا البقر فلم تشرب إمّا لكدر الماء أو لقلّة العطش ضربوا الثور فيقتحم الماء لأنّ البقرة تتبعه، وقال في ذلك أنس بن مدركة في قتله سليك بن سلكة:

إنّي وقتلي سليكاً ثم أعقله ... كالثور يضرب لما عافت البقر

الأمثال: قالوا: الثور يحمي أنفه بروقه، والروق القرن يضرب في الحث على حفظ الحريم، وفي «**سنن النسائي**» و«**سيرة ابن هشام**» أنّ الصدّيق رضي الله عنه لمّا قدم المدينة مع رسول الله ﷺ أخذته الحمى، وعامر بن فهيرة وبلالاً، قالت عائشة رضي الله عنها: فدخلت عليهم وهم في بيت واحد، فقلت: كيف أصبحت يا أبت؟ فقال:

كل امرىء مصبح في أهله ... والموت أدنى من شراك نعله

فقلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون إنّ أبي ليهذي، ثم قلت لعامر: كيف تجدك؟ فقال:

لقد وجدت الموت قبل ذوقه ... والمرء يأتي حتفه من فوقه
كل امرىء مجاهد بطوقه ... كالثور يحمي أنفه بروقه

فقلت والله هذا ما يدري ما يقول، ثم قلت لبلال: كيف أصبحت؟ فقال:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بفخ وحولي إذخر وجليل
وهل أرِدَنْ يوماً مياه مجنة ... وهل يَبْدُوَنْ لي شامة وطفيل

قالت: ثم إنّي دخلت على رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: «**اللّهمّ حبّب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكّة، اللّهمّ بارك لنا في صاعنا ومدّنا، اللّهمّ انقل حماها إلى مهيّعة**». قول عامر: بطوقه الطوق الطاقة، وقول بلال: بفخ، هو واد بمكّة، ومجنة سوق بأسفل مكة، وشامة وطفيل جبلان مشرفان على مجنة، وقوله ﷺ: مهيعة الجحفة. وقالت العرب: أرعى من ثور، وقالوا: إنّما أكلت يوم أكل الثور الأبيض.

روي عن علي رضي الله عنه أنّه قال: إنّما مثلي ومثل عثمان كمثل ثلاثة أثوار كانت في أجمة أبيض وأسود وأحمر، ومعها فيها أسد، فكان لا يقدر منها على شيء لاجتماعها عليه، فقال الأسد للثور الأسود وللثور الأحمر: إنّه لا يدل علينا في أجمتنا إلاّ الثور الأبيض، فإنّ لونه مشهور ولوني على لونكما، فلو تركتماني آكله خلت لكما الأجمة وصفت، فقالا: دونك وإيّاه فكله، فأكله، ومضت مدّة على ذلك، ثم إنّ الأسد قال للثور الأحمر: إني لوني على لونك، فدعني آكل الثور الأسود، فقال له: شأنك به، فأكله، ثم بعد أيّام قال للثور الأحمر: آكلك لا

محالة، فقال: دعني أنادي ثلاثة أصوات، فقال: افعل، فنادى: إنّما أكلت يوم أكل الثور الأبيض، قالها ثلاثاً، ثم قال علي كرّم الله وجهه: إنّما هنت يوم قتل عثمان ﷺ يرفع بها صوته.

ومن خواصه: أنّه إذا نزل الثور على البقرة ثم بال بعد نزوله فمن أخذ من ذلك الطين وطلى به إحليله هيّج الباه وأنعظ، ومثانته إذا أخذت وجففت وسحقت وسقيت لمن يبول في فراشه بخل وماء بارد نفعه وأبرأه، وإذا وقف الثور عن السير فاربط خصيتيه فإنّه يسير بنشاط، وينساق سريعاً، وإذا طرح في أذن الثور زئبق مات مكانه، وإن طلي منخره بدهن ورد صرع، وإن كتب ببوله على الحديد أثر فيه حتى يقرأ، وقد تقدّم له خواص في باب الباء الموحدة في البقرة.

وأمّا تعبيره: فإنّه يدل على سيد شديد البأس كثير النفع والعون موافق مطواع وربّما دل على الشاب الجميل لأنّه من أسمائه، وتدل رؤيته أيضاً على ثوران الفتنة أو العون على ما يذلل الأمور الصعاب، خصوصاً لأرباب الحرث والزراعة والإنشاء، وربّما دلت رؤيته على البلادة والذهول، ورؤية الثور الأبلق فرح وسرور، والأسود سؤدد أو شفاء للمريض، وربما دل الثور على الجنون لأنّه من أسمائه.

الثول: بفتح الثاء وسكون الواو، ذكر النحل؛ وقيل جماعة النحل، وعلى هذا قال الأصمعي لا واحد له من لفظه، والثول بالتحريك جنون يصيب الشاة، فلا تتبع الغنم وتستدبر مرتعها، وشاة ثولاء وتيس أثول.

الثيتل: الذكر المسن من الأوعال، وفي حديث النخعي في الثيتل: بقرة يعني إذا صاده المحرم أو في الحرم.

obeikandl.com